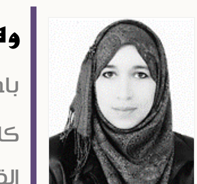
ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.02].

التراث الثقافي المادي لمدينة مولاي إدريس زرهون أول مدينة إسلامية شمال إفريقيا



وفاء بوحدود
باحثة في سلك الدكتوراه
كلية الآداب والعلوم الإنسانية ابن طفيل
القنيطرة – المملكة المغربية

مُلَخّص

يعتبر موضوع التراث موضوعًا شائكًا في وقتنا الحاضر، ذلك أن ظاهرة العولمة أدت إلى طمس معالمه في كثير من الأحيان، ويبقى التراث هو الوسيلة الفعالة للكشف عن تاريخ الأمم السابقة، وبالتالي معرفة هوية الشعوب وأصل العالم، كما أنه يساهم في خلق دينامية اقتصادية عبر النشاط السياحي في عدد من بقاع العالم. إن جهل أبناء الجيل الراهن لتراثهم يشكل خطرًا على هويتهم وثقافتهم المنفردة. كما أن التخلي عنه قد يكون سببًا في تشريد شعوب بأكملها تجعل منه مصدر رزق لقوت يومها. ويتجلى الهدف من خلال هذه الدراسة المتواضعة إبراز جانب من التراث الثقافي المادي لمدينة مولاي إدريس زرهون، التي تعتبر أول مدينة إسلامية شمال إفريقيا، والتي يجهلها أغلب الناس، وتتجاهلها أغلب الدراسات التي تنصب على أماكن أخرى من بقاع العالم.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال:	٠٩	أغسطس	٢٠١٥
تاريخ قبول النشر:	٢٠	نوفمبر	٢٠١٥

كلمات مفتاحية:
مولاي إدريس زرهون، إدريس الأول، التراث الثقافي المادي، الضريح الإدريسي، مدينة وليلي

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0051255

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
وفاء بوحدود. "التراث الثقافي المادي لمدينة مولاي إدريس زرهون: أول مدينة إسلامية شمال إفريقيا".- دورية كان التاريخية.- السنة الحادية عشرة- العدد التاسع والثلاثين؛ مارس ٢٠١٨. ص٧٣ – ٨٠.

مُقَدِّمَةُ

إن مدينة مولاي إدريس زرهون تعتبر نموذجًا متميزًا للتراث العربي الإسلامي على وجه الخصوص، إذ أن حضارتها المرتبطة بالدولتين الإدريسية والعلوية جعلتها تتميز بمعمارها الفريد الذي يشكل جزءا لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية للمدينة. إضافة إلى هاتين الحقبتين، فالمدينة لها ارتباط أيضا بالحقبة الرومانية، كونها تتواجد قرب مدينة وليلي الرومانية، إلى درجة أن بعض المؤرخين أمثال مارمول، ابن الغازي والحسن الوزان، كانوا يجدون صعوبة في التفريق ما بين مولاي إدريس زرهون (التي لم تكن تحمل هذا الاسم في السابق) ووليلي. وتعتبر هذه المدينة عاصمة لمنطقة "زرهون" المتميزة هي الأخرى بتراثها الحضاري بدءا بالعصر الحجري ثم العهد الروماني إلى العهد الإسلامي، إذ أنها مشهورة بقبائلها الأمازيغية المستعربة(١) التي تركت طابعها التراثي في شتى أنحاء المنطقة.

أولاً: نبذة تاريخية حول مؤسس دولة الأدارسة "إدريس بن عبد الله"

هو إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله (ﷺ). وقد تعددت ألقابه من إدريس الأكبر، إلى إدريس الأول ثم إدريس الفاتح. انتقل المولى إدريس من الحجاز مرورًا بمصر ثم القيروان فتلمسان ووصولاً إلى مدينة طنجة المغربية(٢)، وذلك بعد أن فر من وقعة "فخ" قرب مكة الدائرة بين العلويين والعباسيين سنة (١٦٩هـ/ ٧٨٦م) مصحوبًا بمولاه الوفي راشد، وبدون أية موارد تذكر.

لم يمكث إدريس بن عبد الله طويلاً بطنجة لينتقل بعدها إلى مدينة وليلي الرومانية الأصل حالًا ضيفا على قبيلة أوربة الأمازيغية. وبعد أن علمت هذه الأخيرة بنسبه الشريف وبنيته الصادقة رحبت به بحرارة وبايعته على السمع والطاعة تحت

إمرة زعيمها إسحاق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي وذلك سنة (١٧٣هـ/ ٧٨٩م) في شهر رمضان. وقد تمت هذه المبايعة على أساس الدعوة إلى كتاب الله وإحياء سنة نبيه (ﷺ)، وإماتة البدعة والعدل في الرعية[٣]... وذلك وفق خطبة ألقاها الإمام على مسامع الأوربيين. الشيء الذي حفز باقي القبائل على إعلان الطاعة والموالاة لما تحظى به قبيلة أوربة من منزلة خاصة ضمن القبائل، إذ كانت أعظمها عددًا وقوة آنذاك. وهذه القبائل هي: زناتة، زواغة، زواوة، لماية، سدراتة، غياثة، نفزة، مكناسة وغمارة[٤].

إن هذه المبايعة شكلت حدثًا تاريخيًا هامًا يتمثل في نشأة أول نواة لدولة إسلامية شمال إفريقيا. وانطلاقًا من هذه النواة الأولية التي ضمت قبائل مختلفة التفت حول المولى إدريس الأول، انطلق هذا الأخير مدعومًا بجيش كبير من أجل فتح باقي المناطق التي ما زالت تدين بالنصرانية واليهودية والمجوسية، متجها نحو شالة، تامسنا، تادلة، تلمسان، والتي أعلنت جميعها الدخول في الإسلام والتخلي عن باقي الديانات.

وبعد هذه الغزوة المكللة بالنصر قفل الإمام راجعا إلى مدينة وليلي لإراحة الجيش الفاتح، فأقام بها شهر محرم، ثم انطلق مجددا لاستكمال فتوحاته، فتوجه إلى باقي الحصون والمعاقل التي ما زالت على غير دين الإسلام أمثال فندلاوة، مديونة، بهلولة، مقالع غياثة وبلاد فازاز. فجاهدهم حتى دخلوا في الإسلام طوعًا وكرهًا.[٥]

ثم عاد إدريس الأول مرة أخرى إلى مدينة وليلي، فأقام بها مدة شهر ليخرج غازيا للمرة الثانية مدينة تلمسان وبالضبط قبائل مغراوة وبني يفرن الزناتيين. فأقام خارجها، وجاءه أميرها محمد بن خزر بن صولات المغراوي الخزري ملتمسا منه السلام والأمان، فرحب به إدريس بن عبد الله وبايعه الأمير التلمساني صحبة رعيته على الولاء والطاعة. وبعد هذه المبايعة، شرع المولى إدريس بتشييد مسجد بالمدينة اتسم بحسن إتقانه، وذلك في شهر صفر(١٧٤هـ/ ٧٩٠م)، ثم رجع قافلاً إلى مدينة وليلي.

وفي السنة نفسها أمر بضرب الدرهم الإدريسي الفضي بتدغة من أجل تسهيل الشؤون الاقتصادية للبلاد. وبالتالي، فقد استطاع المولى إدريس، خلال سنتين فقط، من تكوين دولة إسلامية تمتد من تلمسان إلى المحيط الأطلسي، ومن طنجة إلى وادي أم الربيع. وقد اتسمت هذه الدولة الإسلامية بإرساء دعائم الإسلام تحت قيادة إمام اتصف بأخلاقه الحميدة ونسبه الشريف وحكمه العادل، مما جعل الناس يلتفون حوله من كل حدب وصوب ويعلنون له الطاعة والولاء.[٦]

هذا النصر العظيم وخاصة حدث فتح مدينة تلمسان التي تعتبر مدخل إفريقية أثار مخاوف العباسيين من ازدياد نفوذ الدولة الإدريسية، ومن ثَمَّ لجأ الخليفة العباسي هارون الرشيد إلى استشارة وزيره جعفر البرمكي الذي أشار إليه بإرسال من يقوم باغتياله غدرًا ومكرًا. وبالفعل، فقد قام الخليفة العباسي ببعث رجل يتصف بمكره ودهائه يدعى سليمان بن جرير ويلقب بـ "الشماخ". فقام هذا الأخير بادعاء نيته الصادقة في نصرة الإمام، فكان يعرض على الناس الالتفاف حوله حتى حظي بثقته ليتمكن في ربيع الأول سنة (١٧٥هـ/ ٧٩١م) من قتله بواسطة قارورة طيب مشموم استنشقها ليموت من فورها[٧]. وقد ترك إدريس الفاتح زوجته البربرية كنزة حاملاً في شهرها السابع بولد حمل نفس اسم أبيه " إدريس الثاني"، والذي اتخذ مدينة فاس عاصمة له (صورة رقم١).

ثانيًا: التعريف بمدينة مولاي إدريس زرهون

تقع مدينة مولاي إدريس زرهون شمال شرق المملكة المغربية، وبالتحديد في أقصى شمال جهة مكناس-تافلالت، وذلك على بعد ٢٥ كلم من المدينة الإسماعيلية مكناس[٨]، و٣ كلم من المدينة الأثرية وليلي. وهي لا تتجاوز مساحتها ٣ كيلومترات مربعة. أما على المستوى الطبيعي، فالمدينة تتموقع ضمن سلسلة جبال مقدمة الريف وبالتحديد بكتلة "زرهون"، والتي تصل فيها الارتفاعات إلى ما بين ١٠٥٠ و١٠٦٠ متر[٩]. ويبدو أن هذه الجبال تحيط بالمدينة تقريبا من كل النواحي مما يجعلها محصنة طبيعيا من أي هجوم خارجي، تتخللها عيون مائية ساهمت في استقرار الساكنة منذ القدم.

إن نشأة المدينة مرتبط بقبر المولى إدريس الذي تزعم الروايات أنه تم العثور على جثته داخل قبره سالمة مصانة في كفنه لم تغيرها عوامل الزمان سنة (٧١٨هـ/ ١٣١٩م)، وذلك في ساحة برج للمراقبة قبالة وليلي[١٠]. هذا الحدث، دفع الناس إلى الحج إلى هذه البقعة من الأرض من كل أنحاء المغرب من أجل زيارة قبر المولى إدريس. وقد كانت أعدادهم غفيرة إلى درجة أن السلطان المريني أبو سعيد بن يعقوب أمر بإرسال جيش لتفريقهم وفرض النظام[١١].

وابتداءً من أواسط القرن السادس عشر شرعت المدينة في استقبال ساكنة فضلت الاستقرار قرب قبر حفيد الرسول (ﷺ)، وقد ضمت عروق وأجناس مختلفة (الشرفاء الأدارسة والعلويين والعلميين، الريفيون، الصفريويون، جبالة، بني يازغة، الغرباويون، شرارذة، بني احسن...). وفي أواخر نفس القرن، تم إطلاق اسم "الزاوية" على المدينة التي تزايد عدد الحجاج الوافدين إليها. فمولاي إدريس زرهون كانت تعتبر من بين خمس المدن المقدسة في العالم الإسلامي (مكة المكرمة، المدينة المنورة، القدس، القيروان ومولاي إدريس زرهون) إلى درجة أن الناس كانوا يعتقدون أن خمس حجات إلى هذه المدينة يساوي حجة واحدة إلى مكة.

وقد ضمت المدينة ثلاث أحياء رئيسة، وهي حي الحفرة الذي يقع في الوسط ويحوي قبر المولى إدريس، وحي خيبر شرقًا، ثم حي تازڭة غربًا واللذين يمثلان كتلتين مرتفعتين طبيعيًا. هذه التجمعات الصغيرة شكلت في نهاية القرن السابع عشر مدينة صغيرة توالت عليها مجموعة من المنجزات والتهييئات من طرف

مختلف الملوك العلويين حتى يومنا هذا. إذ جرت العادة على أن يضيف كل سلطان اعتلى العرش إنشاءً خاصًا به داخل أو خارج الضريح، والذي غالبًا ما يحمل اسمه[12]. كما يجب عليه بمجرد اعتلاء العرش أن يقوم بزيارة خاصة للضريح الإدريسي من أجل الترحم على جده "المولى إدريس".

ولعل من أبرز الإنجازات، ما تم إنشاءه خلال فترة السلطان مولاي إسماعيل سنة (١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م)، حيث أنه أمر بإحداث ولأول مرة قبة تعلو قبر إدريس الأول، كما أمر بتشييد الضريح الإدريسي، المسجد الأعظم، دار الوضوء، قبة قبر المولى راشد، عدد من المساجد والمدارس القرآنية، الحوانيت، النافورات، حمام عمومي، فندق، دار الضيافة. كما أمر بتزويد المدينة بالماء الشروب عن طريق بناء قنطرة على الواد المار بجانب المدينة وبتهيئة الطرق المؤدية إلى مدخل المدينة[13]. وهكذا توالت مجموعة من الأشغال عبر التاريخ لتشكل في الأخير مدينة تاريخية صغيرة يبلغ عدد ساكنتها ١٢ ألف نسمة.

ومما لا يجب الإغفال عن ذكره، هو أن مدينة مولاي إدريس زرهون ممنوعة من التوسع العمراني وفق ظهير ١٩ نونبر ١٩٢٠. حيث أنها تتواجد ضمن منطقة الحماية التي تفرض منع أي شكل من أشكال التوسع الذي من شأنه حجب الرؤية من وإلى مدينة وليلي الأثرية. وكما هو معلوم فإن مدينة مولاي إدريس زرهون لا تبعد عن هذه الأخيرة سوى بثلاثة كيلومترات كما سبق الذكر، وبالتالي فإنها تبقى مقيدة بهذا الظهير الذي لا زال العمل جاريا به منذ فترة الاستعمار إلى يومنا هذا. وهو الشيء الذي يعيق هذه المدينة من اللحاق بركب المدن المتقدمة عمرانيًا وحضاريًا. كما تجدر الإشارة على أن نسبة كبيرة من الأراضي والممتلكات تبقى تابعة لنظارة الأحباس. إذ تقوم هذه الأخيرة بصرف المداخيل المحصلة عن طريقها من أجل تسيير شؤون الضريح والمساجد والقائمين عليها، كما تقوم ببناء ما فيه منفعة للعامة.

والمدينة هي مشتهرة على الصعيد الوطني بوفرة أشجار الزيتون التي تحيط بها من كل مكان، بل إنها تنمو بشكل تلقائي دون تدخل بشري في بعض الأحيان، ويصل عددها إلى حوالي ٢٥٠ ألف شجرة تمتد خاصة في الشمال والجنوب[14]. إذ أن هذه المدينة الصغيرة معروفة بزيت زيتونها أو ما يصطلح عليه بالعامية "الزيت البلدية" ذو النكهة الخاصة والمتميزة. وتشير التنقيبات الأثرية لمدينة وليلي على أن هذه الأخيرة تضم العشرات من معاصر الزيتون، مما يدل على مدى أهمية هذه الشجرة منذ ذلك التاريخ.

إضافة إلى هذه الشجرة العريقة، فالمدينة مشتهرة أيضا بإنتاجها للتين، العنب، "الزبيب الزرهوني" (رغم تراجعها في السنوات الأخيرة)، الخروب، الفواكه والخضر، والتي يتم تسويقها داخل وخارج المدينة، وخاصة في السوق الأسبوعي المقام يوم السبت. ويستقبل هذا الأخير عددًا مهما من الساكنة القروية المجاورة للمدينة، حيث يقوم هؤلاء البدو بعرض منتوجاتهم الفلاحية، وكذا التزود بمختلف الحاجيات التي تلزمهم، ومنها منتوجات الصناعة التقليدية التي تشتهر بها المدينة مثل العوادة (المحاريث الخشبية، مقابض الآليات...)، الحدادة (السكك، الفؤوس، المناجل، ألجمة وصفائح البهائم...)، المنتوجات النباتية (السلل، الحصائر، السجادات، القفف...).[15]

وتعرف المدينة حدثًا سنويًا كل فصل صيف يتمثل في الاحتفال بموسم الإمام الصالح، ويصطلح عليه بالعامية "ألْمُوسْمْ"، إذ يفد إلى هذه المدينة الصغيرة الآلاف من الحجاج من كل أنحاء المغرب قصد إحياء مجموعة من الطقوس والاحتفالات الروحية بدءًا بالترحم على روح الإمام ثم إقامة حلقات من الذكر والدروس والمحاضرات الدينية، وكذا استعراضات الطوائف الصوفية وإيقاعات من المديح والسماع الصوفي.

ويعتبر الموسم كذلك مناسبة لإحياء صلة الأرحام ما بين الزائرين المنتسبين لآل البيت، وكذا مع ساكنة المدينة الشرفاء. وهو أيضًا فرصة لإنعاش الاقتصاد التجاري والسياحي على العموم، إذ أن المدينة تشهد ركودًا طيلة السنة إلى حين حلول الموسم السنوي. فالزائرون يستمتعون بالجلوس في المقاهي المتناثرة هنا وهناك والاستمتاع بكؤوس الشاي الساخنة، أو "الرايب البلدي" المحلي، وخاصةً بطبق "الكفتة"[16] المتميز الذي تشتهر به المدينة. إضافة إلى ذلك، فإن الحوانيت التجارية التي تعرض مختلف أنواع المنتوجات الغذائية والتقليدية تلقى إقبالاً مهما خلال هذه الفترة.

أما على مستوى بنية الاستقبال، فإن المدينة تضم عشر دور للضيافة وفندقًا واحدًا ينتعش أربابها عبر كرائها للزائرين الذين يلجأ البعض منهم إلى اكتراء منازل الساكنة المحلية أيضًا نظرًا للخصاص الذي تشهده بنية الاستقبال.

ثالثًا: التراث الثقافي المادي في مدينة مولاي إدريس زرهون

تحتضن مدينة مولاي إدريس زرهون تراثًا ثقافيًا ماديًا يشهد على عمق تاريخها المرتبط بالدولتين الإدريسية والعلوية. كما أنها تضم منشآت ترتبط بالفترة الاستعمارية بالمغرب. وأبعد من هذا وذاك، فإن الحاضرة الإدريسية تحمل أيضًا شواهد تعود إلى الحقبة الرومانية نظرًا لقربها من مدينة وليلي الأثرية. إن أول ما يشد انتباهك وأنت داخل إلى المدينة على بعد بضعة كيلومترات هو بناياتها البيضاء الواقعة فوق كتلتين مرتفعتين يتوسطهما الضريح الإدريسي بقبابه المزينة بالقرمود الأخضر الذي يتواجد في قلب المدينة، إذ أن جل الطرق والأزقة تؤدي إليه كونه يعتبر المحرك الأساسي للحياة اليومية في المدينة (دينية، تجارية، سياحية...) (صورة رقم ٢).

ويضم الضريح الإدريسي بداخله مجموعة من المنشآت الدينية والاجتماعية التي دأب السلاطين العلويين على تشييدها منذ عهد السلطان مولاي إسماعيل. إذ يمكن اعتباره بمثابة "مركب ديني" بامتياز.[١٧] إن الداخل إلى الضريح الإدريسي لا يفوته الانحناء أبدًا، وذلك من أجل تخطي العارضة الخشبية المثبتة عند بابه (صورة رقم ٣). وقد تعددت الروايات حول سبب وضعها، فمنهم من يزعم أن الداخل يجب عليه الانحناء كتعبير عن احترام المكان المقدس، ومنهم من يدعي أنه قد تم وضعها من أجل منع ولوج البهائم إلى داخل الضريح[١٨]، ومنهم مَنْ يقول إن العارضة هي تعبير عن تحديد "حرم"[١٩] الضريح، بينما يفترض آخرون أنها وضعت من أجل تنبيه غير المسلمين إلى عدم الدخول إلى الضريح. ولعل أقربها إلى الصحة أنها أقيمت كحاجز يمنع دخول البهائم.

ويضم الضريح قبر المولى إدريس المتواجد بحجرة مربعة الشكل تعلوها قبة مزخرفة بألوان زاهية. ويعلو القبر منصة للنعش أو ما يصطلح عليه بـ "الدربوز" مغطى بكسوة مطرزة بالذهب يتم تجديدها عند تلاشيها أو كلما اعتلى أحد السلاطين العرش[٢٠]. وقبالة القبة تتواجد ساحة أو صحن مكشوف، مربع الشكل، تتوسطه نافورة تستمد مياهها العذبة من عين طبيعية بالمدينة (صورة رقم ٤)، وبالتالي فإن جل الزائرين للضريح لا يفوتهم شرب مائها ونقعه على وجوههم وأيديهم أو الوضوء منه باعتباره "بركة" المولى إدريس.

ويضم الضريح أيضًا مسجدين هما المسجد الأعظم الذي شيده مولاي إسماعيل في القرن الحادي عشر وتبلغ مساحته ١١٨٠ متر مربع، والمسجد الحسني الذي أمر ببنائه السلطان الحسن الأول سنة (١٣٠٣هـ/١٨٨٦م)، وتبلغ مساحته ٨٢ متر مربع، إضافة إلى هذين المسجدين هناك ما يسمى بالقبة الحسنية التي شيدها الملك الحسن الثاني سنة (١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)[٢١]، والتي يتم إقامة الصلاة فيها أيضًا. ويحوي الضريح ضمن بناياته كذلك: ساحة لاستقبال الحجاج، "مَدْرَسَة" كانت تستقبل في السابق طلبة العلم القادمين من مختلف أنحاء المغرب لتلقي الدروس الدينية وحفظ القرآن، وقد فقدت وظيفتها حاليا، دار الزاوية التي تصلح لإيواء النساء الشريفات في وضعية صعبة (أرملات، مطلقات، عوانس)، دار الوضوء، "لْمْزَارَة" وهي عبارة عن مذبحة يتم ذبح البهائم فيها قصد تفريقها على الفقراء، مقبرة الشرفاء وضريح المولى راشد.

إن الضريح الإدريسي يشكل جزءًا لا يتجزأ من التراث العمراني الذي تتميز به المدينة القديمة. هذه الأخيرة تنفرد بسكنها التقليدي الذي يعود غالبا إلى القرن الحادي عشر إبان فترة حكم السلطان العلوي مولاي إسماعيل. إن المتجول بين أزقة المدينة القديمة يجد نفسه في صعود وهبوط متكررين نتيجة طبيعة الطبغرافيا الوعرة التي يتواجد بها الموقع. ويتميز النسيج العمراني للمدينة القديمة بوجود أزقة ضيقة ومتعرجة تتفرع منها مجموعة من الممرات و"الصابات"[٢٢] (صورة رقم ٥)، لتشكل في الأخير أحياءً ودروبًا تحمل في الغالب أسماء العائلات التي استوطنتها منذ القدم.

وينفرد كل حي بمنشآت عمومية لا غنى للساكنة عنها، وهي: المسجد، الفران، الحمام والنافورات (صورة رقم ٦). كما تتميز العلاقات الاجتماعية داخل الأحياء بروح التضامن وحسن الجوار رغم احتواء كل منها على باب "تقليدي" يفصلها عن مثيلاتها (صورة رقم ٧). وتنقسم الأبواب التاريخية (باب لحجر، باب القصبة، باب الرشاش...) إلى ثلاث أصناف: الباب الرئيس للمدينة والذي كان الهدف من إقامته حماية المدينة من أي هجوم خارجي وكذا وجوب دفع الداخل إليها حق الدخول أو ما يُسمى بـ "المكس"، ثم مراقبة السلع الداخلة منها وإليها، وهناك أيضًا أبواب الأحياء، ثم أبواب الدروب، والتي تهدف إلى التعبير عن التلاحم الاجتماعي ما بين ساكنة كل منها، وكذا الحفاظ على "خصوصية" كل درب وحي. غير أن هذه الأبواب قد فقدت وظيفتها في الوقت الراهن، بل وقد تم هدم البعض منها[٢٣].

وفي ثنايا المدينة القديمة، تتناثر مجموعة من المآثر العمرانية التاريخية هنا وهناك، نذكر من بينها:

- **دروج الحافة**، وهي عبارة عن أكثر من مائة درج، مشهورة لدى سكان المدينة والذين لا يترددون في إرشاد كل من أراد أن يفوز بمنظر بانورامي للمدينة ونواحيها بما في ذلك مدينة وليلي بالصعود عبرها.
- **قبور وأضرحة الأولياء**، إذ أنها تشكل تراثا روحيا لساكنة المدينة، والتي يلجأ البعض منها إلى زيارتها قصد الترحم على أرواح الصلحاء. هذه الأضرحة تتخذ تارة شكل قبة وتارة أخرى شكل منزل بين الأزقة أو حتى داخل المساجد.
- **الزاوية التيجانية**، وهي عبارة عن منزل تقليدي يتواجد بحي بني يازغة، يجتمع فيه أصحاب الطريقة التيجانية الصوفية لإحياء طريقتهم التعبدية. وهناك في المدينة عدد من الزوايا، غير أنها بدون مقر، وبالتالي فإنها تتخذ من سكن أحد مورديها مكانا للاجتماع فيه.
- **صومعة السنتيسي**، وتتواجد بجامع السنتيسي، تم بنائها من طرف الحاج إدريس السنتيسي سنة (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، وتتميز بشكلها الأسطواني الفريد المزين بفسيفساء خضراء مكتوب عليها آيات قرآنية بالأبيض (صورة رقم ٨). وحسب شهادات الساكنة المحلية، فإن الشخص الذي قام بتشييدها في هذه المدينة، بنى صومعة شبيهة لها بالمملكة العربية السعودية، وبالتالي فإن هذا الشكل الهندسي المعماري يوجد منه نموذجين فقط في العالم بأسره.
- **معاصر الزيتون**، وهي عبارة عن معاصر تقليدية لعصر الزيتون المنتشر بكثرة في هذه المنطقة، وقد كانت في السابق تعمل بشكل تقليدي (اعتماد البهيمة والحجر الثقيل)، إلا أنها أصبحت حاليًا تعمل بشكل نصف-عصري (اعتماد الحجر الثقيل والآلة الميكانيكية).

- **المطاحن المائية**، وهي مطاحن تم إقامتها عند ضفاف الأودية المارة عبر المدينة بهدف طحن الحبوب اعتمادا على القوة المائية. غير أنها لم تعد تعمل حاليا، لتشكل في الأخير مجرد آثار متقادمة متناثرة هنا وهناك عند أطراف الأودية.
- **دار العجزة**، وقد كانت تعتبر بمثابة مقر لإيواء الفقراء المسنين، غير أنها فقدت وظيفتها (تم نقل العجزة إلى مدينة مكناس)، ولم تعد تشكل سوى آثار عمرانية بالمدينة.
- **معمل الخزف التقليدي**، وهو مصنع صغير يتواجد عند مدخل المدينة، ويقوم بإنتاج قطع خزفية تقليدية. وتعود ملكيته إلى إحدى العائلات بالمدينة، غير أن نشاطه على وشك التوقف حاليًا، إذ لم يعد يزاول هذه الحرفة سوى شخص واحد مسن ينتمي للعائلة السابقة الذكر.
- **محطة كهربائية**، وتتواجد بين أزقة المدينة القديمة، وهي عبارة عن محطة لتوليد الكهرباء تعود للفترة الاستعمارية.
- **قنطرتين مائيتين وقناة هارون**، وهي مشيدة على الأودية المارة عبر المدينة، وتعود للفترة الاستعمارية، بينما تعود قناة هارون للفترة الرومانية، وتتميز بشكلها الهندسي المتميز، إذ أنها ترتفع بأكثر من ٦ أمتار، وتتكون من أقواس طولية الشكل. وهي لازالت في حالة جيدة (صورة رقم ٩).

- **عين الحامة**، وتعتبر من أهم المآثر التي تعود للفترة الرومانية، وهي عبارة عن حوض للسباحة مستدير الشكل، ذو عمق لا يتجاوز المترين (صورة رقم ١٠). وتشتهر مياهها بمعالجتها للأمراض الجلدية، إذ أنها تتميز باحتوائها على نسبة مرتفعة من الكبريت إضافة إلى معادن أخرى.

خَاتِمَةُ

رغم كون مدينة مولاي إدريس زرهون تزخر بتراث ثقافي مادي مهم يشهد على عمق تاريخها المجيد، إلا أنه يمكن القول على أن هذا التراث يوجد في حالة يرثى لها في كثير من الأحيان، من هدم إلى تَخَلٍّ إلى تشويه، باستثناء الضريح الإدريسي الذي ما زال يحظى باهتمام المسؤولين نظرًا لارتباطه بالحياة المعيشية للساكنة المحلية. وعليه، فإن استمرار هذه الوضعية سيؤدي حتمًا إلى طمس معالم الهوية العربية الإسلامية بالخصوص، و كذا الإرث الروماني، وذلك كما حدث لكثير من المعالم التاريخية في المدينة، والتي فقدت وظيفتها إلى الأبد، فلم يبق منها سوى هيكلها الشاهد على تاريخها (دار العجزة، المدرسة، المطاحن المائية)، أو أنها تعرضت لإبادة علنية أدت إلى طمس كل آثار ذلك التاريخ العميق، و نذكر من بينها: هدم السوق "الدخلاني" بأبوابه التاريخية ومنشآته ("الرحبة" لبيع الحبوب، "القاعة" لبيع زيت الزيتون على الخصوص وسوق الخضر)، التخلي عن "دار الصابون" التي كانت تنتج "الصابون البلدي" المستخلص من مخلفات الزيتون، الفندق لإيواء البهائم، المذبحة، أفرنة الجير ومصانع الآجر البلدي.

الملاحق

صورة رقم (١)

نبذة تاريخية عن إدريس بن عبد الله
معلقة في الضريح الإدريسي



المولى إدريس الأكبر

هو المولى إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ومولاتنا فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هاجر إلى المغرب بعد وقعة فخ عام 169هـ موافق 786م صحبة مولاه راشد مرورا من مصر ثم القيروان فتلمسان ثم مدينة طنجة واستقر بمدينة وليلة الرومانية حيث بايعته القبائل الأمازيغية يوم الجمعة 4 رمضان عام 172هـ موافق 6 فبراير 789م وجعلها عاصمة ملكه

كان الهدف من دعوته السير على نهج جده المصطفى صلى الله عليه وسلم في نشر الدين الإسلامي وبذلك أسس أول دولة إسلامية مغربية مستقلة وقضى على الطوائف الضالة وبنى عدة مساجد و وحد البلاد وقد وصلت فتوحاته حتى مدينة تلمسان شرقا حيث بنى فيها مسجدا ومنبره الشهير عام 174هـ موافق 792م ومن آثاره كذلك ضرب الدرهم الإدريسي بتدغة عام 174هـ موافق 792م اغتيل المولى إدريس عام 177هـ موافق 793م بأمر من الخليفة العباسي هارون الرشيد وترك زوجته كنزة حاملا من سبعة أشهر فقام راشد بتدبير شؤون الدولة حتى ميلاد المولى إدريس الثاني الذي تلقى التربية الضرورية فتمم رسالة أبيه وبنى مدينة فاس حيث دفن فيها

بني ضريح المولى إدريس الأول بأمر من السلطان مولاي إسماعيل عام 1110هـ موافق 1726م

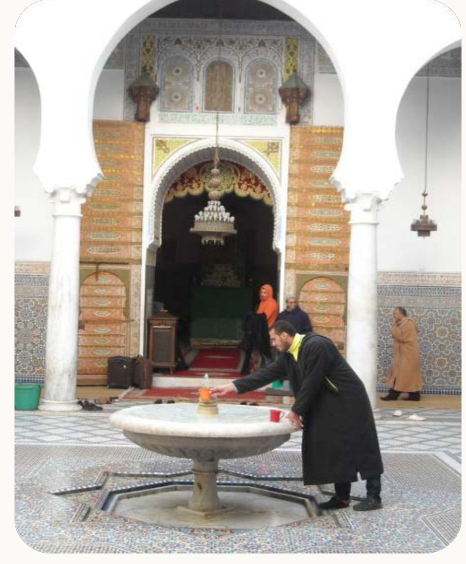
صورة رقم(٢)
الضريح الإدريسي في قلب مدينة مولاي إدريس زرهون



صورة رقم (٣)
العارضة الخشبية عند باب الضريح الإدريسي



صورة رقم (٤)
النافورة المقابلة لقبة الضريح الإدريسي



صورة رقم(٥)
جانب من المدينة القديمة



صورة رقم(٦)
نموذج لأحد الأبواب التاريخية في المدينة (باب القصبة)



صورة رقم (٧)

نموذج لإحدى النافورات في المدينة القديمة



صورة رقم (٨)

صومعة السنتيسي



صورة رقم (٩)

قناة هارون



صورة رقم (١٠)

عين الحامة



مقالات

الهَوامِشُ:

(١) الشبيهي الموقت، محمد بن عبد الكريم. (٢٠٠٤)، **الإطلالة الزهية على الأسرة الشبيهية**، مؤسسة سندي للطباعة والنشر، مكناس، ص ٤٩.

(٢) ابن زيدان. (٢٠٠٨)، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، الجزء الثاني، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص ١٢.

(٣) الشبيهي الموقت، محمد بن عبد الكريم. المرجع السابق، ص٢٨.

(٤) ابن أبي زرع (١٩٧٢)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ص ٢٠.

(٥) ابن أبي زرع، المرجع نفسه، ص ٢١.

(٦) سعدون، عباس نصر الله. (١٩٨٧)، **دولة الأدارسة في المغرب، العصر الذهبي ١٧٢ -٢٢٣هـ / ٧٨٨-٨٣٥م**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص ٧٦.

(٧) ابن أبي زرع، المرجع السابق، ص ٢٣.

(٨) **مكناس**: مدينة مغربية تقع شمال شرق المملكة المغربية، وهي عاصمة جهة مكناس-تافلالت، وقد اتخذها السلطان العلوي مولاي اسماعيل (١٦٧٢-١٧٧٢م) عاصمة له، وشيد فيها العديد من المنشآت والتجهيزات. وقد سميت في مكناس نسبة إلى قبائل مكناسة التي استوطنتها منذ القرن العاشر الميلادي.

(٩) الشبيهي الموقت، محمد بن عبد الكريم. المرجع السابق، ص٤٩.

(10) Al Halabi, **Al Dour Al Nafis** In Wahbi D., (1984), «MOULAY IDRISS» évolution d'une petite ville traditionnelle en crise, Volume I, Thèse de Doctorat de 3(ème) cycle, Université François rebelais-Tours, U.E.R Aménagement Géographie Informatique, p. 5.

(١١) الجزنائي، علي. (١٩٩١)، **جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، المطبعة الملكية، الرباط، ص ١٥.

(١٢) الشبيهي الموقت، محمد بن عبد الكريم. المرجع السابق، ص ٤٤.

(١٣) الشبيهي الموقت، محمد بن عبد الكريم. المرجع نفسه، ص٧٧.

(14) Dresh J. (1930), **Le massif de Moulay Idriss (Maroc septentrional)** In: Annales de Géographie., t. 39, n°221. P. 500.

(١٥) مجلة إتقان (٢٠١٣)، العدد الأول، **نظرة عن نشأة وتطور الحرف بمولاي إدريس زرهون**، التصفيف والطبع جيكًا سيسطيم، ص ٥٦.

(١٦) **الكفتة**: هي كريات اللحم المفروم.

(17) Wahbi D., *op.cit.*, p. 232.

(١٨) الشبيهي الموقت، محمد بن عبد الكريم. المرجع السابق، ص ٤٣.

(19) Drissi M., 1987, **LA VILLE SAINTE de MOULEY IDRISS du Zerhoun**, Université Paris VII, UER, Histoire et Civilisation, Groupe de recherche de Tiers-monde, JUSSIEU, p. ٩٥.

(٢٠) الشبيهي الموقت، محمد بن عبد الكريم. المرجع السابق، ص ٤٤.

(21) Drissi M., *op.cit.*, p. 107.

(٢٢) **الصابة**: ممر مغطى.

(23) Drissi M., *op.cit.*, p. 203 - 208.